من تحنيد الجماهير الشعبية الى صفها ، من جهة ، وترتبط بفعل الثانـي بعلاقة صراع مع جماهير العمال والفلاحين المعدمين ، رغم وقوفهم الى جانبها في عملية الصراع الاولى ، من جهة اخرى ...!

من هنا تصبح الثورة مشدودة الى ثلاثة اتجاهات بدلا من اتجاهين كما هو شأن الثورة عندما تتوفر لها قيادة الطبقة العاملة وحزبها الشيوعي ، ورغم النجاح الذي تحققه الثورة في مرحلتها الاولى ، فان تعدد الاتجاهات وتناقضاتها يضع الثورة في موضع الصراع والتجاذب الامر الذي يؤثر على مسيرتها ويعرقل تقدمها فتتعثر وترتد ثم تنحرف عن نهجها وتسقط باحضان القوى المعادية ما لم تبادر الطبقة العاملة وحلفائها الفلاحين الى انقاذها .

ان الاتجاهات الثلاث التي تتجاذب الثورة الوطنية الديمقراطية في ظل القيادة البرجوازية الوطنية هي : اتجاه برجوازي وطني ، يعمل على فرض دكتاتورية البرجوازية الوطنية على الثورة واخضاع سائر الطبقات ، بما فيها طبقتي العمال والفلاحين الفقراء لمصلحته ، اولا ، واتجاه رجعي ـ امبريالي ، يسعى لحرف الثورة عن طريقها ، او الاطاحة بها والعودة بالبلاد لسيطرة عملائه ، ثانيا ، واتجاه عمالي ـ فلاحي ، يناضل من اجل اطراد سير الثورة نحو اتجاهها التاريخي الحتمي الذي هو الاشتراكية . ومثال هذا النمط من الثورات يتجلى بوضوح في الثورة العربية وفي جميع الثورات الوطنية الديمقراطية في بلدان ما يسمى بـ (العالم الثالث) ، التي تقودها البرجوازية الوطنية ...!

ولكن لماذا تعجز القيادة البرجوازية الوطنية عن قيادة الثورة وايصالها الى نهاياتها الحاسمة ، بينما تستطيع القيادة البروليتارية تحقيق ذلك ؟

ان اهم ما يمكن ذكره هنا : هو ان القيادة البروليتارية الشيوعية ، تدعم مجابهتها لاعدائها بخصائص واسباب لا تتوفر لغيرها من قيادات الثورة الوطنية الديمقراطية في البلدان المتخلفة واهم هذه الخصائص والاسباب هي :

اولا ـ ان الطبقة العاملة ، تمتلك اسلوبا للانتاج تستطيع الثورة معه مواصلة تطورها بشكل مطرد ، بحيث تستطيع تجاوز مراحل تاريخية متعددة حتى تصل الى الشيوعية ، اذ تنجز المهمات الوطنية والديمقراطية ، انجازا يتوفر معه الاساس المادي والتكنيك للشروع في انجاز مهمات المرحلة الاولى من مراحل الثورة الاشتراكية ، بغية الانتقال لمرحلة الاشتراكية المتطورة ثم الشيوعية .

ان هذا الافق الواسع الذي يستوعب حدود مراحل اجتماعية ـ اقتصادية متعددة يوفر للقيادة البروليتارية ـ الشيوعية قدرة على قيادة الثورة بنجاح مطرد ، لا يتوفر لاية قيادة طبقية اخرى .

ثانيا ـ ان الطبقة العاملة ، تمتلك ايديولوجية كاملة تستطيع الثورة معها ان تحدد بدقة موضوعية وعلمية درجة تطور المجتمع ، تحديدا يمكنها من معرفة مستوى تطور القوى المنتجة وقدرة كل طبقة وفئة اجتماعية على الاسهام بانجاز مهمات الثورة المرحلية .

لهذه الاسباب فانها اي القيادة البروليتارية ـ الشيوعية ، تخوض النضال مستندة الى طبقة ثورية الى النهاية ، من جهة ، والى عدم الوقوع بالمغامرة « اليسارية » او الانتهازية اليمينية ، بحكم كونها تتعامل مع القوى والفئات الاجتماعية وفقا لمقتضيات استمرار الثورة ومستلزمات اطراد التطور ، من جهة ثانية ، فضلا عن انها تحرر الاقتصاد من الفوضى والازمات وتخضعه للتخطيط والبرمجة العلمية وبذلك تتمكن من توفير فرص العمل لكل القادرين عليه ، وترفع مستويات وقدرات القوى المنتجة ، بعد ان تقضي على البطالة وتطبق قانون من « لا يعمل لا يأكل » من جهة ثالثة ، وبفضل سلاحها اليديولوجي فانها تستطيع القضاء على كل العادات والتقاليد المتخلفة التي تعيق تقدم المجتمع من جهة رابعة .

ثالثا ـ لا ريب في ان الطبقة العاملة في البلدان المتخلفة ، تمثل اقلية في المجتمع ، اذا ما نظرنا اليها من منظار النسبة العددية اي الكم . ولكن اذا ما نظرنا اليها من منظار النوعية ومضمون ثورتها وقدرتها على التحالف مع الفلاحين وتنظيمهم ونوعيتهم ، واذا ما ربطنا هذه الحقائق كلها بالتعريف اللينيني للحزب ، وصيغته للسلطة الوطنية ـ الديمقراطية الشعبية المحددة بـ « دكتاتورية العمال والفلاحين الديمقراطية الثورية » ، واذا ما سلمنا بان هذه الصيغة تجعل من طليعة العمال والفلاحين ممثلة لهذه الدكتاتورية ومجسدة لمضمونها ... اذا ما نظرنا الى القيادة البروليتارية ـ الشيوعية من هذه الزاوية فاننا سنجد انها تمثل فعلا مصالح الغالبية الساحقة من السكان ، الامر الذي يوفر تطبيقا عمليا لمضمون الحقيقة الماركسية الواردة في البيان الشيوعي والقائلة بان كل الحركات التي سبقت حركة الطبقة العاملة ، هي حركات اقلية لمصلحة اقلية . في حين ان حركة البروليتاريا هي حركة اغلبية لصالح الاغلبية . ومعلوم ان وقائع التاريخ قد اكدت صحة النظرية اللينينية القائلة بان حركة الطبقة العاملة في البلدان المتخلفة . هي حركة شاملة للفلاحين وسائر الكادحين ومعبرة عن مصلحتهم في الثورة ، ولذلك فانها فعلا حركة اكثرية لصالح اكثرية ...!

ان القيادة البروليتارية ـ الشيوعية ، مستندة الى الطبقة العاملة وحزبها الشيوعي واسلوبها في الانتاج وايديولوجيتها الماركسية ـ اللينينية ، وتحالفها مع الفلاحين وسائر القوى التي لها مصلحة في استمرار الثورة ، وبرامجها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية ... ان القيادة البروليتارية ـ الشيوعية ، تستطيع بفضل استنادها هذا ، وخاصيتها الثورية المستمدة من ثورة الطبقة العاملة ان تمتن التحامها مع اوسع الجماهير الشعبية وتتمكن من ان تشحذ اليقظة الشعبية وتحشد كل الطبقات الثورية بوجه اعدائها ، حشدا يستند الى ارتباطها الكلي مع معسكر الثورة الاشتراكية العالمية عامة ومع البلدان الاشتراكية على وجه الخصوص ، ذلك الارتباط المصيري الذي يجسد التزامها بمبدأ التضامن البروليتاري الاممي وبذلك تصبح مسألة دعمها وحمايتها مهمة من مهمات الجماهير الشعبية وواجب من واجبات هذا المعسكر، بينما ينجم عن موقف القيادة البرجوازية الوطنية المحايد والمتردد والمتذبذب وغير الجذري وهن في علاقتها مع الجماهير ووهن في علاقتها مع المعسكر الاشتراكي الامر الذي يضعفها امام ضغط القوى الرجعية والامبريالية فتندفع للمساومة والاستسلام والتهادن مع قوى الثورة المضادة المحلية والعالمية ، اندفاعا ينتهي بها للارتماء باحضان القوى التي ثارت ضدها (٢) .

وبذلك يزداد الوهن الذي يصيب علاقتها مع قوى الثورة الصاعدة ، وطنيا وعالميا ويزداد بزيادته ضعف مجابهتها لاعدائها ، لذلك تتعطل وتنحرف وتسقط نهائيا ، تعطيلا وانحرافا وسقوطا تتبادل بفعلها وعلى امتدادها الزمني القوى المتصارعة المواقع والادوار ، وتتغير التناقضات ، فيصبح ما هو رئيسي ثانوي وما هو ثانوي رئيسي ، بحيث تقف فئة البرجوازيين الحاكمين والمستفيدين ، ضد العمال والفلاحين وسائر الكادحين ، وقفة تلتقي بسببها مع الرجعيين والامبرياليين ، وتجد الجماهير الشعبية نفسها من جديد تخوض النضال ضد القوى الرجعية العميلة التي صدقت يوما انها تحررت من نير سيطرتها !!!

مما تقدم يتضح ، ان طابع الثورة ، في هذه الحالة ، يكتسب خصائص غير الخصائص التي يكتسبها في الحالة الاولى ، فحين تكون شروط الانتقال الى الاشتراكية متوفرة تكون خصائص طابع الثورة ، وطنية وديمقراطية شعبية ، تتغير تدريجيا الى ديمقراطية بروليتارية واشتراكية ـ شيوعية ، ولكن الحالة تتغير عند فقدان هذه الشروط التي يأتي في مقدمتها شرط توفر القيادة البروليتارية ـ الشيوعية ، فتكون خصائص طابع الثورة وطنية ـ ديمقراطية ، ولكن بعد فترة وجيزة ، تحددها طبيعة الظروف التي تعيشها الثورة ، تتغير تدريجيا ، ايضا الى برجوازية ضيقة ، ثم الى رجعية وتبعية للرأسمالية العالمية ، تتحدد بحدودها عمالة الحكام وخضوعهم للامبريالية .

ان اية محاولة لفهم الثورة الوطنية الديمقراطية في البلدان المتخلفة على غير هذا الاساس واية نظرة نحوها من غير هذا المنظار في ظروفها الراهنة ، لن يكون لها نصيب من الصحة ، لانها تفتقر الى العلمية والموضوعية ، بل انها ليست علمية وليست موضوعية .

ولتأكيد هذه الحقيقة ، يكفي ان نلقي نظرة سريعة على طبيعة القوى الطبقية التي تؤلف الطرف الوطني ـ التقدمي في التناقض الرئيسي ، الذي يحكم المجتمع قبل اندلاع الثورة الوطنية الديمقراطية والتي تتكون من العمال والفلاحين بما فيهم صغار المزارعين والوطنيين من متوسطي المزارعين ، والبرجوازية الوطنية في المدن بما فيها الطلاب والجنود وصغار الضباط

(٢) ـ عبدالناصر قائد ثورة ٢٣ تموز اودع علي امين واخوه مصطفى بالسجن بعد ثبوت تهمة عمالتهما للامبريالية ، والسادات عضو مجلس قيادة الثورة اعاد الاخوين (امين) الى مراكزهما السابقة بعد ان رد الاعتبار اليهما ومكنهما من تشويه كل انجاز عظيم وموقف نبيل من انجازات ومواقف الثورة !.

والكسبة وصغار التجار والصناعيين وسائر فئات البرجوازية الصغيرة والوطنيين من ابناء البرجوازية المتوسطة ...

وعندما نلحظ غلبة الطابع البرجوازي على تكوينها ، وان وحدة مصالحها الآنية ، هي التي حتمت عليها توحيد صفوفها النضالية ضد القوى الرجعية المهيمنة على السلطة ...

عندما نلحظ ذلك ، فاننا سندرك ان وحدة الموقف النضالي التي جمعت هذه القوى ، تنطوي على تناقضات ثانوية عديدة ، وان بعض هذه التناقضات قابل لان يتحول الى تناقض عدائي وان هذه التناقضات لا تجد حلها الجذري ، الا بتطور الثورة وانتقالها الى الاشتراكية المتطورة .

وبما ان انتقال الثورة الى الاشتراكية لن يتحقق بغير وجود الطبقة العاملة وحزبها الشيوعي على رأس السلطة فان عدم توفر هذا الشرط ، يعني بالضرورة ان عملية انتقال الثورة الى الاشتراكية غير ممكنة .

وبما ان حدوث الثورة الوطنية الديمقراطية لا يتوقف على ارادة الطبقة العاملة وحدها وانما هو يتوقف ايضا وربما بشكل اقرب الى الممكن ، على ارادة القوى البورجوازية الوطنية ، فانها اي الثورة الوطنية الديمقراطية في البلدان المتخلفة محكومة بامكان قيادتها من قبل القوى البرجوازية الوطنية مثلما هي محكومة بامكانية قيادة القوى الشيوعية ...

من هنا يتضح ان الطابع الانتقالي للثورة الوطنية الديمقراطية في البلدان المتخلفة ومنها بلداننا العربية ، قابل للتحول الى طابع بروليتاري ـ اشتراكي ، مثلما هو قابل للتحول الى طابع برجوازي رجعي !

جمال عبد الناصر :
لماذا عجزت « ثورته » عن الاستمرار

ميلي مريم :
دعم خارجي بعد الانقلاب العسكري

بعد هذا العرض والتحديد لتناقضات الثورة الوطنية الديمقراطية في البلدان المتخلفة وطابعها العام ، علينا ان نكرر ما قلناه في مستهل هذا البحث عن تصنيفنا للثورة الافغانية باعتبارها ثورة وطنية ـ ديمقراطية متصلة بالثورة الاشتراكية ومتداخلة معها ، اي انها من النمط الذي تحقق في البلدان الاشتراكية التي انتقلت من اوضاع التخلف الى اوضاع صناعية متقدمة ومتطورة ، ومع ان بحثنا لا يتناول هذه الجوانب من الثورة الافغانية فانه يستند في كل النتائج التي توصل اليها على هذا التصنيف للثورة ، وبدونه فان البحث بمجمله ينبغي ان يرمى بسلة المهملات !

فاذا كنا ننطلق من هذا التصنيف : واذا كنا لن نبحث من اوضاع افغانستان الاقتصادية والاجتماعية وخطط الحكومة الثورية ، فعلى جوانب من جوانب هذه الثورة سيتركز بحثنا ؟

ان ارتباط الحدث الافغاني بسياسة كوبا والسوفيات في افريقيا ، يدعو لتركيز البحث حول استكشاف معالم السياسة الاشتراكية الجديدة التي نشهد بوادرها في افريقيا وافغانستان ...!

حدثان متمايزان في افريقيا وافغانستان

ان الحديث عن الثورة الافغانية يختلف اختلافا جوهريا ، عن الحديث بخصوص المبادرة الاشتراكية التي يقوم بها الاتحاد السوفياتي وكوبا وبعض البلدان الاشتراكية الاخرى في افريقيا ، بحكم اختلاف الحدثين والمبادرتين ...

في افغانستان اعتمدت عملية قلب النظام على الجيش الذي تحرك لينفذ خطة انقلابية سريعة للاطاحة بنظام محمد داود ، لدرجة ظهر معها ، لاول وهلة وكأن ما جرى في كابول لا يعدو عن كونه حدثا من احداث الانقلابات العسكرية التي تستخدمها البورجوازية بغية الوصول الى السلطة ، بينما الذي جرى في كابول هذه المرة ، شيء اخر يختلف عن احداث الانقلابات العسكرية البرجوازية التي باتت احداثا تقليدية ...

ان المؤسسة العسكرية في افغانستان لم تكن اكثر من وسيلة واداة استخدمها الحزب الشيوعي للاطاحة بالنظام الرأسمالي المتخلف الحاكم واقامة نظام وطني ديمقراطي على انقاضه ، يترأس جمهوريته ورئاسة وزارته زعيم الحزب الشيوعي نفسه ، وهو حدث فريد من نوعه ، اذا ما قيس بثورات البلدان الاشتراكية ، فلو استثنينا استخدام الطراد « فروزا » في ضرب قصر الشتاء فجر انبثاق ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى عام ١٩١٧ ، وانقلاب هاشم العطا في السودان عام ١٩٧١ ... لو استثنينا هذين الحدثين فاننا سنلحظ انه لاول مرة في التاريخ يستلم الشيوعيون السلطة بواسطة المؤسسة العسكرية ، في حين ان الانقلابات العسكرية التي حدثت في بلدان القارات الثلاث قاطبة اما انها كانت انقلابات وطنية ديمقراطية بورجوازية ما تكاد تقطع شوطا على طريق الثورة حتى ترتد وتتراجع على اعقابها كما حدث في بلداننا العربية وغيرها واما ان تستخدم المؤسسة العسكرية من قبل الطبقات الرجعية العميلة للاطاحة بحكومات وطنية ديمقراطية كما حدث في التشيلي وغيرها من بلدان قاراتنا الثلاث ...!

واذن ، فان عملية التغيير الجذري التي ارتدت طابع المفاجئة او لنقل الحرب الخاطفة وانتزاع النصر بسرعة مذهلة ... ان هذه العملية تختلف عما حدث افريقيا حيث بادر الكوبيون والسوفيات وبعض البلدان الاشتراكية الاخرى لدعم ظاهرة الكفاح المسلح من انغولا وغيرها ، وتمكينها من ايصال الثورة الى كرسي السلطة . او دعم سلطة قائمة كما حصل في اثيوبيا ، وسنلحظ التمايز بين الحدثين بوضوح ، كيما يلي من البحث ...

الفوارق الاساسية بين الانقلاب الافغاني والثورة الافريقية

ان المقارنة بين الثورة في كل من افريقيا وافغانستان ، تكشف عن فوارق اساسية يمكن اجمالها بما يلي :

اولا ـ في افريقيا ، تبدو مساهمة القوى البرجوازية في الثورة مساهمة اساسية وفاعلة ، مما يجعل مشاركتها في السلطة ومكانتها في النظام الجديد ، مشاركة اساسية وفاعلة ايضا ، لدرجة يمكن معها القول انها مشاركة ليست مفروضة بحكم طبيعة الثورة . فحسب ، وانما هي مفروضة اساسا بحكم مشاركة البرجوازية في تحقيق الثورة وانجاز النصر الحاسم على القوى المضادة ...

اما في افغانستان ، فان البرجوازية يمكن اعتبارها شريكا يلعب دوره وفقا لخطة الحزب الشيوعي ووعيه لطبيعة الثورة ولفائدة مساهمة القوى الطبقية الوطنية في انجاز مهماتها الديمقراطية ، مما يسهل على الشيوعيين ازاحة اية فئة من الفئات البرجوازية ، في اي وقت يختارونه ، بحكم كون مشاركتها في السلطة نجمت عن مبادرة الحزب الشيوعي نفسه ، وارتبطت بتخطيطه لانجاز مهمات الثورة الوطنية والديمقراطية ...!

ثانيا ـ ان الطبقات والفئات البرجوازية في الثورة الافريقية تستند الى قاعدة جماهيرية وتأييد شعبي بحكم الدور الكفاحي الثوري الوطني ـ الديمقراطي الذي لعبته ابان فترة الكفاح المسلح وحملها السلاح ضد اعداء الشعب ، مما اكسبها ارتياح الجماهير الشعبية وتأييدها .

بينما في افغانستان تختلف نوعيا ، لان الجماهير الشعبية لم تعش حالة الفرز بين الفئات البرجوازية الوطنية واللاوطنية بذات الوضوح المتبلور في افريقيا ، الامر الذي يجعلها تنظر الى البرجوازية ككل من خلال وطأة الاستغلال والاضطهاد الرأسمالي الذي كان يمارس ضدها في العهد المباد ، اي ان الرأسماليين وسائر البرجوازيين الذين كانوا يشاركون في جرائم النظام واعماله الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية والعسكرية ... ان هؤلاء